الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال اخوان
العلانية اعدا السر اذا لقوك تملقوك واذا غبت عنهم سلقوك من اتاك منهم كان عليك
رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق ونميمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم
عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وان يتخذوك سلما الى اوطارهم وحمارا في حاجاتهم
ان قصرت في غرض من اغراضهم كانوا اشد اعدايك ثم يعدون ترددهم اليك دالة عليك
ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك ان تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي
عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون
لهم تابعا خسيسا بعد ان كنت متبوعا رييسا ولذلك قيل اعتزال العامة مروة تامة
فهذا معنى كلامه وان خالف بعض الفاظه وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين في رق
دايم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد اليهم فكانه يهدي تحفة اليه فيرى حقه
واجبا عليه وربما لا يختلف اليه ما لم يتكفل برزق له على الادرار ثم المدرس المسكين قد يعجز
على القيام بذلك من ماله فلا يزال يتردد الى ابواب السلاطين ويقاسي الذل والشدايد مقاساة
الذليل المهين حتى يكتب له على وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه
ويمتهنه ويستذله الى ان يسلم اليه ما يقدره نعمة مستانفة من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة
القسمة على اصحابه ان سوى بينهم مقته المميزون ونسبوه الى الحمق وقلة التمييز والقصور
عن درك مصارف الفضل والقيام في مقادير الحقوق بالعدل وان فاوت بينهم سلقه السفها
بالسنة حداد وثاروا عليه ثوران الاساود والاساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا
وفي مطالبة ما ياخذه ويفرقه في العقبى والعجب انه مع هذا البلا كله يمني نفسه بالاباطيل
ويدليه بحبل الغرور ويقول لا تفتر عن صنيعك فانما انت بما تفعله مريد وجه الله
ومذيع شرع رسول الله وناشر علم دين الله وقايم بكفاية طلاب العلم من عباد الله واموال
السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة للمصالح واي مصلحة اكبر من تكثير اهل العلم فبهم يظهر
الدين ويتقوى اهله ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بادنى تامل ان فساد الزمان لا سبب
له الا كثرة امثال اوليك الفقها الذين ياكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام
فتلحظهم اعين الجهال ويستجرون على المعاصي باستجرايهم اقتدا بهم واقتفا
لاثارهم

قيل ما فسدت الرعية الا بفساد الملوك وما فسدت الملوك الا بفساد العلما فنعوذ بالله
من الغرور والعمى فانه الدا الذي ليس له دوا **الفايدة الثانية النفع والانتفاع**
اما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة وذلك لا يتاتى الا بالمخالطة والمحتاج
اليه مضطر الى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة ان طلب موافقة الشرع فيه
كما ذكرناه في كتاب الكسب وان كان معه مال لو اكتفى به قانعا لاقنعه فالعزلة افضل له
اذا انسدت طرق المكاسب في الاكثر الا من المعاصي الا ان يكون غرضه الصدقة
بكسبه فاذا اكتسب من وجهه وتصدق فهو افضل من العزلة للاشتغال بالنافلة
وليس بافضل من العزلة للاشتغال بالتحقق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولا
من الاقبال بكنه الهمة على الله والتجرد به لذكر الله اعني من حصل له انس بمناجاة الله
عن كشف وبصيرة لا عن اوهام وخيالات فاسدة **واما النفع** فهو ان ينفع الناس
اما بماله او ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة ففي النهوض بقضا حوايج
المسلمين ثواب وذلك لا ينال الا بالمخالطة ومن قدر عليها مع القيام بحدود الشرع
فهو افضل له من العزلة ان كان لا يشتغل في عزلته الا بنوافل الصلوات والاعمال
البدنية وان كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر او فكر فذلك لا يعدل
به غيره البتة **الفايدة الثالثة التاديب والتادب** ونعني به الارتياض بمقاساة
الناس والمجاهدة في تحمل اذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات وهي من الفوايد التي تستفاد
بالمخالطة وهو افضل من العزلة في حق من لم تتهذب بعد اخلاقه ولم تذعن لحدود الشرع
شهواته ولهذا انتدب خدام الصوفية في الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم واهل
السوق للسوال منهم كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعا الصوفية المنصرفين
بهممهم الى الله كان هذا هو المبدا في الاعصار الخالية والان قد خالطته الاغراض الفاسدة
ومال ذلك عن القانون كما مال ساير شعاير الدين فصار يطلب من التواضع للخدمة
التكثر بالاستتباع والتذرع الى جمع المال والاستظهار بكثرة الاتباع فان كانت
النية هذه فالعزلة خير منه ولو الى القبر وان كانت النية رياضة النفس فهي خير من العزلة
في حق المحتاج الى الرياضة وذلك مما يحتاج اليه في بداية الارادة فبعد حصول
الارتياض ينبغي ان يفهم ان الدابة لا تطلب من رياضتها عينها بل المراد منها ان تتخذ مركبا